ملف خاص بيوم المسرح العالمي 27 آذار 2012

إعداد : طه رشيد

دأبت " طريق الشعب " على اصدار ملف سنوي خاص بمناسبة يوم المسرح العالمي ، الذي يصادف 27 من شهر آذار . ويضم الملف عادة كل مايتعلق بشؤون وشجون المسرح ، ومتابعة نشاطات وابداعات فناني المسرح داخل الوطن وخارجه . ولكن بالنظر الى تزامن المناسبة هذه السنة مع انعقاد القمة العربية في بغداد و الى جانب الظروف الأمنية ومنح الدوائر الرسمية عطلة رسمية وعدم صدور الصحف المحلية، فقد اضطررنا الى تأجيل اصدار الملف .

شفيق المهدي: المسرح العراقي لن يتحقق بدون الفرق الأهلية

التقت " طريق الشعب " الأستاذ شفيق المهدي مدير عام دائرة السينما والمسرح وفتحت معه حوارا صريحا حول مشاكل المسرح العراقي وقد استجاب مشكورا لهذا الحوار. كانت بداية الحديث حول التمويل المركزي والتمويل الذاتي والإشكالية بين القرارين ، واللغط الدائر بين الفنانين الذي يدور لحد الان حول هذين القرارين.

>كانت الدائرة سابقاً تعتمد على التمويل المركزي ، ولكن في فترة الحصار تحولت الى التمويل الذاتي، فدفعت البعض آنذاك ولمنافع شخصية ، ومن اجل الحصول على اموال العروض التي كانت تقدم في تلك الفترة تم تبني هذا الاتجاه ـ وهذا معروف تماماً للفنانين ـ ، ما أدى الى ترويج المسرح التجاري الهابط .

في عام 2008 اقرت صيغة وسطية، تكون فيها المرتبات تمويلاً مركزياً، وتستمر السلف التشغيلية على التمويل الذاتي، ولحد هذه اللحظة نعمل بمقتضى هذا الامر النهائي والمحسوم. آنذاك كانت مرتبات الفنانين مقسمة إلى ثلاثة مستويات (95 ألف دينار- 195 ألف دينار 259 ألف دينار) والرقم الاخير هو اعلى مرتب في هذه الدائرة. منذ عام 2008 ولحد الآن ارتفعت رواتب الفنانين في الدائرة وكما لو إننا في التمويل المركزي وفق العلاوة والترفيع والتقاعد وبقيت السلف على التمويل الذاتي .

ـ ما المقصود بالسلفة التشغيلية ؟

>هي التي تسير امور الدائرة خارج المرتبات. بمعنى ان انتاج العروض المسرحية تعتمد على التمويل الذاتي . هناك خمسون بنداً يخضع للسلف التشغيلية، تبدأ من التنظيف، وعمال الخدمات، والترميم، وصيانة السيارات، والانتاج السينمائي، وعروض الفرقة الوطنية للفنون الشعبية، ولا تنتهي بالعروض المسرحية... كل هذه الامور تخضع للسلفة التشغيلية التي تعتمد نظام التمويل الذاتي.

-فنانو المسرح يشيرون الى أن المسرح الوطني لم يقدم اعمالاً ترتقي الى المستوى المطلوب كماً ونوعاً خلال العامين المنصرمين ، ما رأيك؟

>هذا الكلام فيه نوع من الصحة وعلينا ان نواجه الحقيقة. في عام 2010 تسلمت الدائرة من مقاول وكانت شروط المقاولة تنص على اخلاء المسرح الوطني وليس العمل فيه وتقديم

عروض على خشبته، ولكن لعدم وجود مبنى آخر يصلح للعروض المسرحية، توصلنا الى صيغة وسطية بأن يعمل المقاول ضمن اعماله ونستمر نحن بالعمل هنا ضمن الإمكان. المفروغ منه ضمن العقد ، وبشطره القانوني، هو ان يخلى المسرح الوطني والدائرة بالكامل لاننا لا نستطيع ان نتصرف بالاشياء التي يعمل فيها المقاول لحين التسليم وفي النتيجة اخذت علينا وكأننا تأخرنا في برنامجنا.

-ولكنكم بقيتم في الدائرة؟

>نعم تمسكنا بالدائرة وقدمنا عروضاً ، غير انها لم ترق الى المستوى المطلوب. في العام الماضي 2011 قدمنا 36 عرضاً مسرحياً على المسرح الوطني . أما القول بأن كل ما تنتجه الدائرة يجب ان يعرض على المسرح الوطني، فهذا غير صحيح. هذا اولاً أما ثانياً فهو لابد من التذكير بأنه ليست هناك اماكن لدائرة السينما والمسرح، إذ لا يوجد لدينا سوى المسرح الوطني، الذي يقع فيه الجانب الاداري والمالي والرقابي.

يوجد لدينا 816 موظفاً و 91 متعاقداً، محشورون في هذا المبنى، وهذا يشكل لي فزعاً وصعوبة جمة بأن تسير الامور بإنسيابية، واضطررنا لأن نضيف مباني في داخل المسرح الوطني من اجل تسيير امور عملنا.

-على مدى المستقبل، أليس من المفروض ان تكون هناك بناية منفصلة لاحتواء هذا العدد الهائل من الموظفين او يبقى المسرح الوطني للتدريبات والعروض؟

>اولاً المسرح الوطني ليس للدوام الرسمي، بل مسرح لتقديم العروض فقط. ولهذا انشأت اربع غرف لادارة هذا المسرح . الآن تم نقل الجانب الاداري والجانب الفني في هذا المبنى، البعض لا يفهم هذا الشيء، وفي الحقيقة المقر الحقيقي لدائرة السينما والمسرح هو مسرح الرشيد إذ يوجد فيه بحدود 120 غرفة، هناك الجانب الاداري، والمالي، والفني، والتمارين واجهزة السينما، والقاعات، لكن للاسف ما زال مسرح الرشيد مخرباً، ولذلك التجأنا الى المسرح الوطني للدوام والعمل اليومي، واضفنا بعض الغرف لتمشية الامور

>ثانياً توجد الآن شركة ماليزية تعمل في مسارح دائرة السينما والمسرح التي تقع في ساحة الاحتفالات الجماهيرية ، علينا ان نتسلم هذه المباني.. مبنى سينما المنصور تابع لنا ومسرح المنصور كذلك تابع لنا، وسيكون التسلم النهائي في الشهر السادس وعند ذاك نستطيع ان ننقل بعض الموظفين الى هناك.

-لنطوي صفحة الماضي، ونتحدث بالملموس عن الحاضر، ما الأعمال المسرحية المتوفرة لهذا الموسم؟

>لدينا اليوم 12 عملاً مسرحياً وتجري التدريبات بشكل متواصل من اجل تقديمها خلال هذا الموسم. 12 عملاً لثلاثة اجيال مسرحية مختلفة عمرا واسلوبا، للشباب وللجيل الوسيط والرواد. الاستاذ سامي عبد الحميد يتدرب على اخراج مسرحية، الفنان محسن العزاوي موجود في التمارين ومن جانب آخر حيدر منعثر موجود في التمارين وكذلك عماد محمد وحاتم عودة، وآخرون. ومن جيل الشباب مثلا غسان اسماعيل موجود في التمارين.

اتجاهات المسرحية السائدة الآن يتمرنون على مسرحيات مختلفة، بالاضافة الى اعمال منتدى المسرح الذي أعول عليه لانتاج وإنجاز اعماله وانجاز اعمال مهمة لجيل ما بعد 2003 الآن يوجد لدينا 70 ممثلاً شاباً. المؤسسة تعاني قلة العنصر النسوي ولكن في منتدى المسرح يوجد اليوم 14 شابة، والشباب وزعوا على ثلاث ورش مسرحية. ورشة يقودها انس عبد الصمد وورشة يقودها ابراهيم حنون واخرى يقودها الاستاذ سامي عبد

الحميد.
ـ هل نفهم من هذا بأن منتدى المسرح هو جزء من المسرح الوطني؟
>طبعا، جزء من دائرة السينما والمسرح، وهو يعتني كثيرا بعروض الشباب. الآن توجد مقاولة ثانية لتبديل خشبة المسرح الوطني وهي برعاية وبتأسيس وتصميم القسم الهندسي في وزارة الثقافة هناك إشكالات البعض من الفنانين لا يعرفونها .
ـ ما هذه الاشكالات ؟
>الدائرة غير معنية بالمقاولات . الوزارة ـ في القانون العراقي ـ هي المعنية بالمقاولات. ترشح هذا المبنى، ترشح هذا الجانب أو ترشح الجانب الآخر، مقاولة المسرح الوطني جاءت من القسم الهندسي في وزارة الثقافة. البعض يعتقد وأحدهم كتب بأن شفيق المهدي أعطى المقاولة لواحد من أبناء عمومته، هذه المقاولة عرضت في الصحف العراقية، ورست على أحد المقاولين العراقيين وبدأ العمل ولكنه تأخر عن موعد الإنجاز.

.

>وفاة عامل بإنهيار خشبة المسرح الوطني وتوقع تأجيل يوم المسرح العراقي
>الخميس, 22 مارس 2012 09:34
>بغداد/البغدادية نيوز/.. كشف مصدر من داخل دائرة السينما والمسرح في بغداد أن الجزء المتحرك من خشبة المسرح الوطني أنهار بالكامل في وقت كان بعض العمال موجودين لأغراض الترميم والتأهيل ما تسبب بوفاة أحدهم.
وقال المصدر الذي طلب عدم ذكر أسمه أن الجزء المتحرك الذي أنهار تسبب بوفاة أحد العمال وهذا الأمر يخالف ما اعلنه مدير المسرح الوطني جبار جودي الذي اكد أن أعمال التأهيل تقوم بها شركة هندسية تركية مختصة في هذا المجال، كما كان متفق عليه وعلى أثره أوفد جودي الى تركيا خلال الفترة الماضية لهذا الغرض."
وأشار المصدر الى أن " العمال كانوا عبارة عن عمال عادين لا يفقهون بالأعمال الهندسية وكانوا تابعين لأحد المقاولين العراقيين.
يذكر أن أنهيار الجزء المتحرك من المسرح سوف يتسبب بتأجيل مهرجان أيام المسرح العراقي الذي كان من المقرر له أن يقام في السابع والعشرين من هذا االشهر

.
أما مقاولة فك خشبة المسرح الوطني، فقد فتحت في اليوم نفسه المتفق عليه، وتم إستيراد الأخشاب الخاصة، خشبة المسرح الوطني ضخمة تحتاج إلى 120 يوما لكي تستبدل وتبنى حصائرها الداخلية من السمنت .
-لنتحدث عن موضوع آخر جانبي ولكنه مهم، وهو المسرح المدرسي ومدى العلاقة مع دائرة السينما والمسرح، وكذلك العلاقة مع مسرح الطفل .
>أنا منعت مسرح الطفل في دائرة السينما والمسرح ومنعته لسبب منطقي، علينا ألا نكذب على أنفسنا، ننتج 3 عروض مسرحية بأموال وطاقات من ممثلين ومخرجين ولا يأتي أحد، نضطر لأن نؤجر (كوسترات) ونجلب أطفالا وهذا خطأ. المسرح الحقيقي أن يأتي الجمهور، لا ان نقوم نحن بجلب الجمهور إلى المسرح . حققنا هذا مرة واحدة وبعد مراجعة للميزانية وجدنا بأنها تستهلك ثلث ميزانية الدائرة، ويأتي 120أو 130طالبا لمدة يومين

وينتهي العرض.
-عفوا على المقاطعة، في الدول المتقدمة وزارة التربية هي المسؤولة عن تنظيم سفرات طلبة المدارس إلى المسرح .
>مسرح الطفل غير المسرح المدرسي، لو توفر لي قاعات فارغة نخصصها لمسرح الطفل، خاصة ان في الدائرة يوجد لدينا ممثلين ومخرجين، وعندي نصوص، لقدمت عروضا متواصلة لمسرح الطفل. لكن لا توجد هذه القاعات أولا، ثانيا لا يوجد تعاون بيننا وبين وزارة التربية، وبسبب الوضع الأمني رفضت وزارة التربية ان يأتي الطلاب – الأطفال إلى المسرح الوطني رفضا تاما. فاتحتهم عدة مرات فاتحت الوزير الأسبق واجتمعنا معه ، ورفض وقال ان الوضع الأمني صعب ، خوفا من تفجير سيارة أو الهجوم على السيارة التي تقل الأطفال. أعول على المسرح المدرسي وهو خاضع لوزارة التربية في كل العالم، وتوجد الآن بدايات حقيقية من أجل اعادة هذا المسرح . وسبق ان كتبت مقالا أوضحت فيه الأسباب الموجبة لعودة المسرح المدرسي ، لأننا تخرجنا جميعا من المسرح المدرسي .
المسرح المدرسي يعني أن نقدم العرض داخل المدرسة من قبل طلبة المدرسة نفسها. وهنا نتجاوز العقبة الأمنية ، لأن من سيشاهد العرض هم طلبة المدرسة أنفسهم .
أما مسرح الطفل، أنا لا أصدق به. أعمال قدمت في فترة السبعينيات، عروض ناجحة حتى عدد الأطفال كان قليلا مسرح الطفل في العراق ضعيف منذ تأسيسه ولحد الآن .
ـ وماذا عن المسارح الاهلية، هل انتهت الى الأبد؟
>يا ريت العودة إلى المسارح الأهلية. لا يمكن أن يتحقق المسرح العراقي من دون الفرق الأهلية، بدون العودة إلى المسرح الشعبي وفرقة المسرح الفني الحديث وفرقة مسرح اليوم . هذه الفرق قادت المسرح العراقي قبل الدولة ، قادت منهاج العرض المسرحي العراقي وتمكنت من خلق جمهور هائل وعلينا أن نتذكر التاريخ المشرف والعظيم لفرقة المسرح الفني الحديث، بينما الآن بناية هذا المسرح عبارة عن خرابة مهجورة ، وعلى الدولة أن تدعم هذه الفرق بإعادة مبانيها وترميمها مجددا. ولا ننسى فرقة المسرح الشعبي ، ولو كان مقرها في شقة صغيرة ، ولكن الجمهور كان يأتي لعروضها. فرقة مسرح اليوم. كلها فرق مسرحية تقدمية ومعروفة عروضها وتاريخ المسرح الفني الحديث أكثر عراقة وتأثيرا في الجمهور العراقي، حتى أكثر من مسارح الدولة .
-ألم تجر مفاتحة وزارة الثقافة بهذا الشأن؟
>أنا فاتحت الوزارة مرات عدة، ولكن لا توجد تخصيصات مالية لدعم هذه الفرق، وهذا مشروع ستراتيجية دولة وليست وزارة الثقافة فقط. مشروع مجلس أعلى للثقافة والفنون ووزارة الثقافة ووزارة المالية وكل الوزارات المعنية. إلا انه لا يوجد سوى مسرح واحد، المسرح الوطني. أما صالات السينما فقد اغلقت وتحولت إلى مخازن أو مكاتب في أحسن الأحوال وهذا مخيف لبلد عريق بالحضارة وبالثقافة .
-قلت قبل قليل انكم تتدربون على 12 عملاً مسرحياً ، هل هي تراجيديا أم أعمال كوميدية؟
>الناس لها مشارب ولها اتجاهات متباينة ومختلفة، وأنا أميل لأن يقدم المسرح الوطني كلا النوعين، أي اعمال جادة وشعبية. وهذا ينطلي على الأعمال المقبلة، والأعمال الكوميدية يجب أن لا تمس كرامة الإنسان، بعيدة عن المسرح التجاري الهابط ، ولا يمكن أن أقر بأي عمل تجاري هابط ولا أسمح بأن يقدم بإسم المسرح الوطني. أما العمل الجماهيري

الكوميدي فهو حق من حقوق الانسان ، من حق العائلة العراقية ان تأتي إلى المسرح للترويح عن نفسها ، وللضحك ، ولكن دون الخروج عن السياق العام في الذوق والآداب. يأتي الناس إلى المسرح للقاء بعضهم البعض ايضا . إذاً نقدم لجمهورنا الاثنين معا الجاد والشعبي.

ـ كلمة أخيرة تود قولها.

>أرجو من بعض الأخوة الفنانين، عدم التصريح بما لا يعرفون. هناك ضعف في فهم القانون، وأنا لا أستطيع أن اخترق قوانين الدولة العراقية. نستطيع أن نجري تكيفات مع بعض الجوانب الخاصة بهذا القانون أو ذاك. أما يخرج أحدهم أو احداهن ويصرح بأننا جلبنا التمويل المركزي فهذا كلام غير صحيح وغير مسؤول ، يضع الدائرة في حرج شديد امام الجهات العليا . الدائرة مرتباتها تمويل مركزي وسلفها التشغيلية تمويل ذاتي وسوف تستمر على هذا المنوال .

-إلى أي تاريخ ستستمر على هذا المنوال؟

>لحين صدور قانون وزارة الثقافة، والمرفوع إلى مجلس شؤون الدولة، وإلى مجلس النواب وننتظر الجواب منهم. وقد وضع هذا الملف في الأولويات ضمن مناقشاتهم.

****

أزمة المسرح.. التساؤل والحل

عماد محمد*

ما زال الجدل قائما لحد الآن بين الفنانين بشأن قانون التمويل الذاتي لدائرة السينما والمسرح ومحاولة البعض من المسؤولين عن الثقافة العراقية للترويج عن شرعنة هذا القانون بالرغم من صدور قرار من أعلى هيئة تنفيذية في الحكومة العراقية الحالية ومنذ عام 2007 يشير الى إعتماد قانون التمويل المركزي لدائرة السينما والمسرح ، إلا ان التخبط والفوضى الإدارية العارمة هي من جعلت هذا القرار لم يأخذ حيز التنفيذ ولعدم وجود آليات وأنظمة وقوانين تلزم الجهات الدنيا تنفيذ تلك القرارات ، ويقينا ان الإشكالية في هذه القضية بالذات تقع بشكل مباشر على الادارات والمؤسسات الثقافية والفنية ذات العلاقة .

إن مشروع خصخصة الثقافة والفن هو مشروع صحي ، استراتيجيا ، لمستقبل العراق ، له مردودات مهمة ، ولكن بالمقابل نسأل، ما هو الأساس الصحيح الذي يتم فيه تطبيق هذا المشروع أي الخصخصة ؟

من المؤكد ان ذلك الاساس هو عندما يكون هناك تقدم مهم في الجوانب المختلفة للواقع العراقي المقبل من خلال بناء دولة المؤسسات الراسخة والمتقدمة ، ولا يمكن ان نبني على اساس مؤسسات خاوية .

يجب أن تكون هناك تجربة رائدة وعملاقة لمنظمات المجتمع المدني بمختلف توجهاتها العامة، وكذلك ضرورة الابقاء على المؤسسات الحكومية التي تعنى بالسينما والمسرح وبشكل مباشر وضمن برامج ومشاريع الحكومة الحالية والحكومات اللاحقة لفترة لا تقل عن عشرين عاما مقبلة وهذه أدنى فترة زمنية لتحقيق تلك المهمة الكبيرة. إن قانون التمويل المركزي للسينما والمسرح هو الضمان الحقيقي لتحقيق العديد من الأهداف الإيجابية

للمشروع الثقافي العراقي وليس العكس كما يعتقد البعض.
الجميع يتفق ان العراق بعد 2003 والمتغيرات السريعة التي حدثت وما آلت إليه من تدمير كامل للبنية التحتية في شتى المجالات الثقافية ، الاقتصادية والسياسية . هذا يعني بأننا نبدأ من الصفر ، وربما قبل الصفر ، وهذا السبب وحده يكفي لأن نفكر بان تمتلك الحكومة ومؤسسات الدولة ، الآن ، زمام إعادة ترميم وتأهيل الثقافة العراقية وهذا يتطلب زمنا طويلا واهتماما مباشرا وكبيرا ، واهمها الغاء التمويل الذاتي لجميع مؤسسات الثقافة والفن والعمل بقانون التمويل المركزي والذي بموجبه تكون الحكومة ومؤسسات الدولة العراقية هي الراعية للثقافة والفن ، وبالتأكيد سينعكس لاحقا العمل بقانون التمويل المركزي بحل الكثير من الاشكاليات والمعاناة من أجل تقديم مشروعهم الفني بشكل ابداعي ومؤثر في الواقع العراقي والعالمي ، كون هذا القانون يحمي ويضمن ويكفل مستوى معيشي معقول ، مما يدعم الفنان في الاستمرار بالعمل في مشروعه الفني بعد أن يجد الدعم الجيد أيضا من قبل الحكومة كون قانون التمويل المركزي يعني هناك خططا وبرامج محسوبة ومرسومة ومصادقا عليها من قبل وزارة الثقافة وبالتالي هناك تخصيصات وأموال ضمن الموازنة العامة.
لا يستطيع أحد التحايل على تلك الخطط والبرامج لأن عدم تنفيذها يعني اعادة تلك التخصيصات من الأموال الى خزينة الدولة ، وعدم تبويبها لغرض التصرف بها كما يحدث في قانون التمويل الذاتي. وكذلك من أهم النتائج التي يحققها قانون التمويل المركزي بأنه يلزم جميع المؤسسات الحكومية الثقافية ضمن هيكلية وزارة الثقافة بتقديم مشروع ثقافي وفني عملي من أجل الحفاظ وتطوير البنية الثقافية والفنية في العراق ، وتقديم منجزاتها على ضوء ما تقدمه من خطط وبرامج وأنشطة ، وكذلك ما يقدمه التمويل المركزي هدفا مهما وساميا يتمثل في رفع المستوى الفني والثقافي للمتلق .
إن الدستور العراقي الجديد يكفل حماية الثقافة والتراث والحضارة العراقية القديمة وهذا بدوره يوجب مسؤولية الحكومة من خلال مؤسساتها الثقافية والفنية بتنفيذ هذه الحماية التي تعني الكثير من الخطط والبرامج والمشاريع العملاقة ، وهذا لا يحدث اطلاقا إن لم يكن هناك تمويل مركزي للثقافة والفن ، واعتقد ان التراجع الواضح والخطير الذي يعاني منه المسرح والسينما في العراق حاليا يرجع بشكل مباشر الى قانون التمويل الذاتي الذي يسير عمل دائرة السينما والمسرح.
قانون التمويل الذاتي سيء الصيت ولد في بيئة الحروب والحصار والدكتاتورية والمنتفعين والانتهازيين ، ويدافع البعض من الفنانين عن هذا القانون لحسابات شخصية ضيقة لا تتعدى حسابه المصرفي .
نعتقد ان حل هذه الاشكالية يكمن بتطبيق وتنفيذ القرارات والتوجهات الصادرة من مجلس الوزراء والجهات التشريعية ، الخاصة بقانون التمويل المركزي وعدم تسويفه ومحاسبة المقصر.

---

*مخرج مسرحـــي

****

فنانون في الذاكرة

تضم هذه الصورة، مجموعة من الفنانين المسرحيين، الذين أثْرُوا المسرح (والإذاعة والتلفزيون) العراقي بإبداعاتهم، نصا وتمثيلا وإخراجا ، في مرحلة الستينيات من القرن الماضي، وصولا الى منتصف السبعينيات حيث اضطروا أن يهاجروا الى دول العالم المختلفة، إثر الهجمة الفاشية للنظام السابق على الحركة الوطنية. فيهم من رحل الى الابد،مثل الممثل الكبير منذر حلمي، والذي كان في مطلع السبعينيات، عضوا في الهيئة الادارية لنقابة الفنانين ، ممثلا عن الشيوعيين والديمقراطيين، ، ومنهم ما زال يعيش في مغتربه البارد!

جمعتهم هذه الصورة في مهرجان الثقافة العراقية في برلين صيف 2008.

****

معشوقة تنتظر الضوء

قاسم زيدان*

المعشوقة لم تعد حيةً كما كانت ، فيما مضى كان صوتها يسحر الآذان وصراخها يملأ الكون ، وسخونتها تبهج القلب ، كانت قويةً جريئةً تلعنُ جلادها المقبور كل يوم وتُعري خراب القتلة في كل لحظة ، كانت مهووسةً بلعن الطغاة وكشف جرائمهم ، كما كانت بهيةً سعيدة تطلق الأمل في كل الخلايا وتجدد الحياة في كل الزوايا ، كان ممثلوها يشبهون الملائكة ، يتقافزون ، يطيرون ، يغردون ، ممثلاتها كانت كالنوارس تلامسُ الماء وتقذفه

كلماتٍ من ذهب ، شعرائُها كانوا كالكهنة في نحت العبارة ورسم البلاغة ، نحاتوها كانوا متفردين بصياغة الفراغ وتركيب الأشكال ، مخرجوها كانوا فقراء الا من خيالهم وشطحاتهم ورؤاهم المبتكرة غير المكررة .

خشبتي ، معشوقتي ، مالي أراكِ اليوم وقد جف حليبُكْ ، وضمُرت أثداؤك ، وكثرت الأخاديد على سطحك ، لِمَ هذا الوهن والإنكسار ، مالي لا أسمع صوتك ، لم اختفت الألوان منكِ واصبحتِ رمادية .. سوداء ، ماهذه الزلازل التي تهزُ سكونك كل يوم ، لِمَ غابت البراءة عنك وأمست الخديعة دينكِ ، لِمَ انتِ مختنقةً باردة ؟ همستْ لي : الغرباء ، قلت : أي غرباء ؟ همست : الأبناء الغرباء ، قلت : كيف أبناء وكيف غرباء ؟ همست : من يسجنني ويخرب جسدي غريبٌ عني ، بقيتُ صامتاً مذهولاً . كيف لكِ أيتها المعشوقة تحمّل كل هذه البلايا والمصائب .

ياإلهي ، لِمَ كل هذه القسوة أيها الأبناء ، لِمَ كل هذا الجفاء لأمكم ، قبلتكم ، محرابكم ، لِمَ هذا العقوق والتوحش ، لِمَ كل هذا السوء يغلف قلوبكم ، هذه امكم كيف تكشفون عرضها وتُعرون سترها ، ماهذه الشراهة في تثليم جسدها وسرقته في وضح النهار ، أيها الأبناء .. سأقولها بإلقاءٍ مسرحي : هذه خشبتكم ، أمكم ، مهدكم ، قبركم ، فكوا سجنها ، لملموا جسدها ، امسحوا عنها الغبار ، بثوا بها الحياة ، أطلقوا الحرية لممثليها وممثلاتها ، ابعدوا عنها الغرباء ، إكشفوا قتلتها المخفيين ، أزيلوا عنها الكمائن والثكنات ، حطموا مكبرات الصوت الخشنة التي تلوثها ، أزيحوا السيطرات المخدرةِ التي تخنق شوارعها ، أوقفوا أرتال السلاطين بسياراتهم السوداء الهائجة الماجنة ، نظفوا بقايا السرفات ، اغسلوا الأشجار والأزقة والبيوت والساحات والجسور والقباب والتماثيل والجداريات ، ضعوا زقوراتكم ورُقُمُكم في مآقيكم ، بدّلوا ملابسكم السوداء بأخرى ملونةً زاهية ، صمّوا آذانكم عن خطابات المجانين والطارئين والأفاقين والمشعوذين وصناع الموت والظلام ، حاكموا الخطيئة ، حاكموا من خرب وأفسد جمال المعشوقة ومن سرق ذهبها ، هي تنتظركم ، أعيدوا لها الضوء ، أعيدوا لها الضوء ...

التمويل الذاتي بين القبول والرفض

التمويل الذاتي
والمسرح التجاري الهابط

التقينا الفنان د. ميمون الخالدي في المسرح الوطني وافصح لنا عن رأيه، بصراحة تامة، حول ما يجري على الساحة الفنية بشكل عام والمسرحية بشكل خاص من نقاشات وآراء، وآراء اخرى مضادة وصلت حد القطيعة بين عدد من الفنانين، وابتدأ حديثه بقضية التمويل الذاتي التي أعتبرها الاشكالية الاولى التي تعم وتهم حياة المسرحيين. قائلا: موضوعة

التمويل الذاتي بعض من ظواهر وزارة الثقافة وشركات اخرى. في فترة التسعينات عندما عجزت الدولة، وقتذاك، في ان تؤمن تمويلها المركزي، بإعتبارها دولة مركزية، فتحت المجال امام هذه الشركات وحولت دوائرها، ومنها دائرة السينما والمسرح، الى شركات، تعنى بالمسرح وتنشطه وترعاه.ففتحت مسارحها للمسرح الرخيص والهابط، واشاعته في المجتمع خدمة لمصالحهم الخاصة. موضحا: إذ كانوا يأخذون نسبا من هذه الاموال التي يحصلون عليها، وكانت احياناً تقسم على الاعضاء العاملين من الممثلين بأجور زهيدة. وقتها كان ذلك استلاباً للفنانين كلهم، ولم يستطع احد من الفنانين ان يرفع صوته ضد هذه القضية. وبالنتيجة فان النظام آنذاك، هو من يمنح تلك الادارات فرصة لان ينتعشوا، وان تدخل جيوبهم اموال هذه الاعمال .

واضاف الخالدي : الآن بإعتقادي، بعد عام 2003، على الفن ان يكون مشروعا خاصا، اي ان يمول نفسه بنفسه، التمويل الذاتي حالة صحيحة، ولكن ابتليت هذه الدائرة بعد سقوط النظام بعدد كبير من المواطنين، جاؤا من المسرح التجاري وانتسبوا الى دائرة السينما والمسرح بصفة (ممثل) وحصلوا على (عقد)، ثم تحولوا الى موظفين، ولذا ارتفعت اعداد هذه الدائرة !. نتساءل اليوم هل ان التمويل الذاتي يفيد هذه الدائرة ام التمويل المركزي؟.

مبينا: انه بعد احداث 2003 تغيرت أشياء كثيرة، فلسفة الحياة والنظام، الثقافة والفن، توقفتا بسبب ما مر به البلد من ظرف امني. وبعد ان استقر الوضع الامني، لم نشعر بان الدولة لديها اهتمام بالفنون ونشر الثقافة. وعدم الاهتمام هذا يعطينا شعورا وكأن الموظفين/ الفنانين يستلمون رواتبهم من الدولة باعتبارهم "بطالة مقنعة ". انا اعتقد اصبحت لدينا اشكالية، فهذه الدائرة غير قادرة على انتاج عمل سينمائي او مسرحي يليق بها، كيف تنشط نفسها ذاتياً ؟ اذاً اعتماد التمويل الذاتي يعني السقوط مرة اخرى في احضان المسرح الهابط الذي يساهم حتما في تدمير الثقافة. القضية محيرة، اليس كذلك؟.

وختم الفنان ميمون الخالدي: على هذه الدائرة أن ترجع الى التمويل المركزي في الوقت الحاضر، على الاقل لفترة، وعندما ينتعش البلد ثقافياً، يستطيع المسرح ان يمول نفسه بنفسه، والثقافة الرصينة التي تنسجم مع ما قدمه المسرح العراقي، والحفاظ على المستويات الرائعة التي وصلتها الثقافة العراقية، هي من مسؤولية الدولة أولا، شرط ان لا يتحول التمويل المركزي الى مخدر باعث للنوم، بل بالعكس، أن يكون التمويل المركزي محفزا للعمل والنشاط والابداع.

لا للتمويل الذاتي

اما الفنانة عواطف نعيم فقد ذكرت: كانت دائرة السينما والمسرح، ومنذ تأسيسها، قائمة على التمويل المركزي، وقد تم في عام 1997 التلاعب بقانونها في فترة الحصار الاقتصادي على العراق، بعد ان تدنى مستوى الرواتب الممنوحة لموظفي الدولة، ولاجل تحويل المسرح الى وسيلة من وسائل التسفيه والتسطيح والهاء الناس، ولكي ينسوا، بالتالي، واقعهم المزري، المر، الذي يعيشه المجتمع العراقي في تلك الفترة .

اما عن الوضع الحالي وبالاخص مرحلة ما بعد سقوط النظام فقد اوضحت الفنانة عواطف: بعد الاحتلال الامريكي للعراق، وبالذات في السنوات 2007، 2008، 2009، 2010، 2011توجه الفنانون في دائرة السينما والمسرح لأعادة الدائرة الى التمويل المركزي، بعد ان كثر العبث والتلاعب بالسلف التشغيلية المخصصة لاجل تفعيل حركة المسرح والسينما في الدائرة، وتنفيذ برامجها وخططها، التي توضع من قبل مسؤوليها والقائمين على

امورها، كما ان بقاء الدائرة على التمويل الذاتي، يعرض الدائرة للخروج عن الاهداف التي انشئت من اجلها، كما يعرضها للخصخصة، ومن ثم الالغاء وتشتيت موظفيها ومنتسبيها بين دوائر الدولة، ان لم يتم طردهم خارج الوظيفة.
واشارت نعيم: حين تكون الدائرة على التمويل الذاتي، ويديرها مجلس ادارة، سواء كان منتخبا او غير منتخب، فان مجلس الادارة هذا، سينتهي به المآل الى تسليم الدائرة لأي صاحب رأس مال يدفع أكثر، ما دام هدف الشركة الجديدة هو تحقيق الارباح والمكاسب، ونسيان كل القيم والاهداف النبيلة للمسرح، عملية المتاجرة واخراج الدائرة من محيطها الثقافي والفني هو اول مهمات صاحب رأس المال. أما العمل بالتمويل المركزي فإنه يضع الدائرة على سكتها الصحيحة، وستكون ابواب صرف المال واضحة، وتنفيذ الخطط والمشاريع الفنية ضمن الخطة السنوية واضح، وبذلك يفعّل نشاط الدائرة وتصبح قادرة على تمويل المشاريع السينمائية والمسرحية، وتنشيط فعاليات الفرق الشبابية وفرق المحافظات بما يليق بالمسرحية العراقية، وتصبح الفائدة المتحققة اشمل واعم، كما تكون حقوق الفنان العراقي المنتسب لهذه الدائرة مضمونة، وتكفل له الكرامة والقدرة على الابداع والانجاز .
وفي ختام حديثها اوضحت الفنانة عواطف نعيم: الفنانون الذين تظاهروا ضد قانون " التمويل الذاتي " لم يكن همهم البحث عن المناصب، بل كانوا ينطلقون من حقيقة ان الفنان المسرحي صاحب رسالة ثقافية وأخلاقية ووطنية، ويستطيع ان يساهم ببناء العراق الجديد. ليس بالحرية وحدها
يحيا المسرح!
أما المخرج كاظم النصار فقال: كل عام ونحن نجدد الأمل بالمعنى، معنى الحياة. والمسرح صانع أمهر لهذا المعنى الذي يتصدى للتيه المعرفي بمساءلاته النقدية الجادة، وهو – أي المسرح – يفحص الظواهر والأحداث نصا وعرضا، ويقدم رؤى معرفية وجمالية. فبدون المعنى تصبح الحياة فوضى وجحيما لا يطاق. كل عام نفحص ما انتج وما تحقق، ليس بمعزل عن التغيرات التي تطرأ على المجتمعات في العالم، وهنا في بلادنا نحتاج الى ان نستبدل لغة الشكوى الى مساءلات جادة : لماذا يتراجع العرض النوعي المسرحي، إذا كانت قد تحققت الحرية، ولو بالقياس إلى وضعنا السابق، حرية مشروطة، حذرة، بسبب انتقال السلطة من الدولة إلى القوى المجتمعية، التي تكبر وتصغر حسب الظرف الدولي والاقليمي والمحلي ؟.
اما عن التغيير الذي حصل بعد سقوط النظام فاوضح النصار: وإذا كان فضاء التداول للمسرح قد انفتح أيضا عن سنوات ما قبل 2003 وحصارها، فما المشكلة إذاً ؟ ثمة تدمير للمعنى على ما أعتقد، تدمير على يد من لا يجيدون انتاجه، بل ولا يعتقدون بضرورته، انطلاقا من ان الفوضى والفراغ هما الفضاء الأمثل للطفيليين وغير المنتجين. نتفاءل كل عام ونطمح أن يكون للمسرح دور كبير في النهضة الثقافية، في إدانة الحرب وعشوائيتها وشعاراتها الايديولوجية، وفي فضح العنف والتصدي له، ومن ثم كيف نعود تدريجيا الى ان نجعل من المسرح جزءا أساسيا من حياة الناس اليومية وتغدو مصدرا لمتعتهم وفائدتهم ؟ .
نحلم مع فضاءات الحرية التي تحققت نسبيا بعد عام 2003، بنهوض مسرحي والذي لا يمكن تصور النهوض بدون هذه الحرية، إنما نعرف ايضا إن جناح الحرية وحده يبقى عاجزا من دون بنية تحتية، ومن دون تمويل ومن دون رؤية استراتيجية .
واشار الفنان كاظم الى ان: التغيرات التي مست الفن بشكل عام بعد عام 2003 أيضا وهذا

الزلزال الذي حصل في بلادنا، كان من الطبيعي والمهم ان يشكل تيارا مسرحيا جديدا، يقرأ الظواهر والأحداث التي مرت وما تزال سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، اسلوبا وفضاء نظريا مختلفا بالضرورة عمّا قبل 2003، فهناك إلى جانب هذا التغيير النوعي ثمة تغيرات حصلت في العالم، إذ تراجعت السرديات الكبرى لصالح السرديات الصغرى في الموضة والفلم والأزياء..الخ.
اما رأيه بالفنان المسرحي اليوم فهو: المسرحي اليوم لم يعد منعزلا تقنيا، إنما هو صانع رأي عام، ومحرض جمالي وسياسي وبامتياز، وهو مفكر وشاعر وصانع دهشة بصرية، وهذا المسرحي قد ينكفئ، لكنه لا يهزم ولن يهزم لأنه يقف على متن معرفي وجمالي نادرين .
واستنكر عزلة المثقف قائلا: المثقف المسرحي لا يبرر له عزلته وعدم فاعليته تحت مبرر استئثار السياسي بالتأثير بمجتمعه، وتحت مبرر تخلف المجتمع، وعدم تفاعله مع ما يطرح مع المنصات النوعية، ولذلك عليه دائما نقد الواقع، ومراقبة الظواهر الاجتماعية، والخروج برؤى مبتكرة ومختلفة من دون ان ينزلق إلى المعطى الذي يتفق عليه الغالبية المطمئنة لقناعاتها .
وعن علاقة المسرح بشرائح المجتمع المختلفة قال: نتفاءل كل عام في ان يكون المسرح خبزا يوميا للمجتمع، عبر تطوير مسرح الشباب ومسرح الطفل والمسرح الجامعي والمسرح العمالي والفلاحي، ونتفاءل أكثر عندما تترسخ التقاليد المسرحية، ونسقي المتجاورات المسرحية، البانتومايم والكيروغراف، ونهتم أيضا بالمسرح الشعري، كما نحتاج إلى نصوص عراقية تقرأ الظاهرة بلغة درامية، وربما هناك ميل اليوم إلى الكوميديا السوداء، وإلى ترسيخ اللغة المحلية والمناخ المحلي والظاهرة المحلية لننطلق منها إلى ما هو أوسع وأشمل.
اماعن دور المرأة فقد قال الفنان كاظم: نحتاج إلى ترسيخ دور المرأة (الممثلة) في المسرح، بتشجيعها وفسح المجال واسعا أمامها ودعمها. كما يحتاج المسرح إلى عروض تتصدى لزلزال ما بعد 2003 وتقدم رؤاها فيما حدث ويحدث، لاسيما ونحن ازاء متغيرات عربية تحتاج إلى إشاعة الوعي والتنوير ومجابهة الأفكار المظلمة المنغلقة.
نعم لا يحيا المسرح بالحرية وحدها ولكنه الجناح الأكثر أهمية في يناعة غدنا المنتظر، غد الحياة وهي بمعنى جمالي وفكري واستمرارها نحو النور.
التمويل الذاتي
ضرب من الجنون

اما الممثل المسرحي نظير جواد فاوضح رأيه بالعلاقة بين التمويلين قائلا: هناك شعرة ما بين العاقل والمجنون، وهي نفسها ما بين التمويل الذاتي والتمويل المركزي، والقبول بالتمويل الذاتي هو ضرب من الجنون، او هوالاستفادة ماديا بطريقة غير مشروعة لجني الاموال على حساب المشروع الثقافي. فكل الفنانين يطالبون بالتمويل المركزي، وحتى القائمين على ادارة الدائرة، نسمعهم في الاعلام يقولون نحن مع التمويل المركزي والعهدة على القائل ...
في التمويل الذاتي يكون العمل عشوائيا، ولم يكن وفق خطة سنوية، كون الاموال التي تأتي تكون اموالا سائبة ,

اذ يغيب الرقيب المالي عنها، وتصرف كيفما يراد لها ان تصرف، وفي الوقت نفسه لا تضمن للفنان حقه، انما تضمن حق مجموعة صغيرة لا تتجاوز عدد اصابع اليد، وللاسف هناك من الاسماء التي كانت لها انجازات على الصعيد المسرحي قد تورطت في ان تكون من ضمن اصابع اليد من اجل حفنة من المال متناسية ان التاريخ لا يرحم ..
وعن امتدادات التمويل الذاتي في الماضي قال الفنان نظير: إن نظام التمويل الذاتي هو احدى مساوئ النظام المباد الذي اقره (مجلس قيادة الثورة المنحل)، وكانت الغاية منه ابعاد المواطن العراقي عن الحدث السياسي، ودفع الفنان لتقديم عروض هابطة لا تنتمي الى المسرح العراقي، ولا الى الثقافة والحضارة العراقيتين .
اعمال اساءت للذوق العام وحولت المسارح الى اشبه بالملاهي الليلية الرخيصة، والغاية الثانية هي جني الاموال وبطريقة غير مشروعة كما قلت سلفا.وعن مساوئ التمويل الذاتي قال نظير:
اما الاموال في التمويل المركزي فتكون اموال خاضعة لرقابة الدولة وتصرف وفق خطة مسبقة لاعمال يفترض ان تنفذ وفي حالة عدم تنفيذها فان تلك الاموال تعود الى ميزانية الدولة .
ومن مساوئ التمويل الذاتي في مجال السينما هو غياب الفلم السينمائي الروائي الطويل لان الاموال المخصصة لا تكفي، هذا ما يقوله المسؤولون، ومن مساوئ التمويل الذاتي، هو دخول التجار والسماسرة في انتاج اعمال مسرحية لا تليق بالفنان العراقي ولا يفكر هؤلاء التجار الا بشباك التذاكر. وختم حديثه بالقول:
في الدول المتقدمة، مسرح الدولة هو الواجهة الثقافية والحضارية للبلد، وهو المعني بنقل ثقافة البلد الى المحافل الدولية، ويكون تمويله من الدولة، ونرى اليوم غياب واضح للمسرح العراقي في المحافل الدولية والعربية ولا نعرف من هو المسبب في هذا الغياب لكي نطالب بمحاسبة المقصرين.

****

المسرح ضرورة اجتماعية، مثل رغيف الخبز

عزيز خيون*

ابتداءً لابد ان نذكر بأننا ـ في رابطة انقاذ وإصلاح المسرح والسينما والفنون الشعبية في العراق ـ ننظر الى الثقافة بشكل عام، والمسرح خاصة، باعتبارهما علاجاً شافياً لكثير من المشكلات التي عانى ويعاني منها مجتمعنا، فالمسرح فن اثبت وعبر كل العصور، انه ضرورة اجتماعية، وهذه الضرورة لايمكن لها ان تنبت في وطننا ضمن الظرف الملتبس الذي نعيش بدون اعتماد قانون التمويل المركزي، أي بدون رعاية الدولة، ثم اننا ننظر الى

أهمية المسرح والثقافة بألوانها كافة وتجلياتها بنفس الاهمية التي نستشعرها لضرورة رغيف الخبز في الحياة اليومية . تجربتنا مع " التمويل الذاتي " مرّة وقاسية، سحبت المسرح العراقي من أذنيه وقادته، هو وتجربته وتأريخه ومشروعه، الى درك مؤسف من التسطيح والتسفيه والتهميش حتى اصبح ما سمي بالمسرح التجاري الهابط، سائدا في تلك الايام السوداء، امام تراجع المسرح الملتزم والجاد.

ان قانون "التمويل ألذاتي تم العمل به في ظرف صعب وقاهر، حيث اطبقت سنوات الحصار بثقلها على شعبنا، وتخلت الدولة عن مسؤولياتها، وعلى حين غرة، برقت في دماغ مسؤولي ذلك النظام وصفة "التمويل ألذاتي، علاجاً لإدامة عدد من المؤسسات ومنها دائرة السينما والمسرح .

نحن عارضنا، آنذاك، هذا القانون، وحذرنا من خطورته، لان دائرتنا تقدم الفن والثقافة، الجمال، وجمهور هذه البضاعة ـ للأسف ـ ليسوا بالعدد ألكبير. الدائرة ليست مصنعا للحديد، أوالسجاد، ولا اية بضاعة اخرى لتدر علينا وارداً يكفي ان يموّل كل الفنانين وكل المشاريع الطموحة . وإذا كانت دائرة السينما والمسرح، وبسبب توفر بعض الظروف مكنتها من انتاج عدد من المشاريع الفنية قبل 2003، وحققت لها عائدات مادية ـ افترض ذلك جدلاً ـ على حساب الإبداع، استثني من حصانة الخسارة تلك، التجارب المسرحية التي قدرلها ان تفر من هذا القدر الاحمق، فأن حصانة الظروف الحالية غير متوفرة في الوقت الحاضر .

ونتساءل كم هي العروض المسرحية الكبيرة والملتزمة ؟ اعني بها تلك التجارب المسرحية التي تقوم على الميزانيات الكبيرة والكفيلة برفع ذائقة المتلقي والتي انجزت بعد 2003 بشرعة التمويل الذاتي ؟ كم هو عدد الأفلام السينمائية التي نفّذت ؟ وكم عدد الرقصات الجديدة المصممة حديثاً بمستوى يليق بالتاريخ العريق المشرف لفرقة الفنون الشعبية ؟ .

أجزم بأن ما انتجته الدائرة ـ كما ونوعا ـ منذ السقوط ولهذا اليوم لا يرتقي الى مستوى المسرح الوطني، الذي يشكل نافذة فريدة من نوعها في العراق وعلى مستوى الوطن العربي، نافذة للجمال، نافذة ضد التقوقع والظلامية، نافذة ضد الجهل والتطرف.

ظروف عراقنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلها قد تغيرت، حقبة ما قبل 2003 انصرمت، ونظام "التمويل ألذاتي اضحى تركة ثقيلة من تراث لنظام صار الآن يغط في سجل الماضي، نظام نختلف معه ، علماً اننا وقفنا بالضد من قانون التمويل الذاتي حال ولادته في تلك الحقبة . وثبتنا رأينا امام الرأي ألعام سواء في الحوارات والندوات، اوعلى صفحات الصحف اليومية والمجلات المحلية وحتى العربية.

خشيتنا كبيرة من ان تتحول دائرة السينما والمسرح ـ بسبب نظام التمويل الذاتي ـ الى مجرد شركة، وبقرة حلوب لتكديس الاوراق المالية في جيوب نفر قليل جداً من اعضاء هذه الشركة . لهذه الاسباب نؤكد على اهمية وضرورة التمويل المركزي حفاظاً على مستقبل فناني هذه الدائرة المهمة وحقهم بالعيش لكريم اسوة بموظفي الدولة، ومن اجل تصميم مشاريع وابتكار حلول لولادة طاقات فنية جديدة شابة، ممثلين وممثلات وكتـّاب وفنيين ومخرجين وكوادر لكافة الاختصاصات، بعد ان اصبح رنين الانذار يحذرنا من خطورة ما نحن فيه من عوز فني خطير من غياب مخيف للطاقات الشابة تكمل المسيرة المشرفة للفنانين الرواد في المسرح والسينما والفنون الشعبية.

التمويل المركزي كفيل برسم وتنفيذ خطط وبرامج مبتكرة لمشاريع في المسرح والسينما والفنون الشعبية، وفي حالة عدم تنفيذ تلك المشاريع، فإن المبالغ المخصصة لها ستعود حتما

الى ميزانية الدولة، وهذا يعني في النهاية بان التمويل المركزي، كقانون، لا يفسح المجال للتلاعب بالمال العام .
وليس اعتباطا ان يقرر مجلس الوزراء في جلسته الاعتيادية السادسة المنعقدة في 15 / 02 / 2007 تحويل دائرة السينما والمسرح من التمويل الذاتي الى التمويل المركزي، ذلك القرار الذي لم ينفذ لحد الآن!

---

*مخرج وممثل مسرحي

****

نكـــــــــون .. أو لا نكـــــــــون" آذار 1982 - آذار 2012"

طه رشيد

في السابع والعشرين من شهر آذار / مارس من كل عام، يحتفل المسرحيون في العالم بعيدهم (يوم المسرح العالمي)، من خلال اقامة المهرجانات والندوات واللقاءات التي تخص شؤون المسرح تحديدا، نصا ونقدا وتمثيلا واخراجا وفرجة، وكان المسرحيون العراقيون سباقون بالاحتفال في هذا اليوم منذ منتصف الستينات.

كانت الفرق الاهلية في بغداد، بارعة في تنظيم مهرجاناتها قبل انتباه الدولة لهذا اليوم ، وبالاخص فرقة المسرح الفني الحديث العريقة والغنية عن التعريف . وكان آخر عهدي باحتفالها هو في 27 آذار 1978 ، في ذلك اليوم قدمت الفرقة مشاهد مسرحية من مسرحيات مختلفة سبق وإن قدمتها في مواسم سابقة . قاعة المسرح الكبيرة لم تستوعب الحضور بالرغم من جلب كراسي إضافية من الجيران، امتلأت جوانب القاعة وممراتها بالجمهور، إشرأبت الاعناق لترى وتسمع . كلمة يوم المسرح العالمي تلاها في ذلك العام أستاذ الاجيال سامي عبد الحميد، وقد أشاد فيها بمجموعة الشباب الجدد الذين أنتموا الى الفرقة، معتبرا اياها دماء جديدةً ، وهي مهمة وضرورية لاستمرار عمل الفرقة، واذكر من الاسماء التي ذكرها بكلمته : اقبال محمد علي ، دريد إبراهيم، طه رشيد، حسن حنيص، حميدة حمد...

إلا إن معظم هذه الاسماء التي ذكرتها ، والاخرى التي ابعدتها الذاكرة في هذه اللحظة، قد اختفت قبل أن يكتمل عام78، إثر الهجمة الفاشية للنظام السابق على عموم الحركة الشيوعية والديمقراطية، فهاجر من هاجر واختفى من اختفى، وكانت حصة الفنانين دريد ابراهيم وحسن حنيص الاستشهاد جراء التعذيب في اقبية البعث المنحل.

تلاقفت المنافي الفنانين والادباء والصحفيين العراقيين . كانت حصتي الجزائر التي وصلتها في نهاية صيف 78 ، لأعمل مدرسا في ثانوية احدى مدنها الصحراوية (سعيدة. (

ومنذ ذلك الحين بدأت امارس طقسا لم أحيد عنه وهو ان اكتب عن يوم المسرح العالمي ولو اسطر معدودة في كل عام .

عام 1982، اي قبل ثلاثين عاما، وكان عمري ايضا ثلاثين عاما، كتبت كلمة بالمناسبة، ونشرتها آنذاك، في جريدة الجمهورية، التي تصدر في مدينة وهران عاصمة الغرب الجزائري العدد 5244 في 29 مارس / آذار 1979 ،تحت عنوان نكون او لا نكون .

أعيد نشرها الآن لأن اغلبية اصدقائي وزملائي لم يطلعوا عليها لضعف وخطورة الاتصالات بيننا في تلك الأيام ! ولأنها تحمل مواقف ودلالات من السلطات ومن المثقفين

في آن واحد ، لذا اعتقد انها ما زالت تفي بالغرض وتذكرنا بما ينفع ، وبما لا ينفع !
وخاصة اننا لم نقطف ثمار ربيعنا العربي لحد الآن
لا اخفيكم سرا انني استطعت ان اصل ظهيرة يوم أمس 27 آذار الى بناية فرقة المسرح الفني الحديث / مسرح بغداد، خلف سينما النصر، رغم منع التجول غير المعلن ، إذ ان نقاط السيطرة قد زادت، بسبب انعقاد مؤتمر القمة العربية، وتفتيش السيارات يستوجب وقتا طويلا عند عبور هذه النقاط، علما ان عدداً مهما من الشوارع الرئيسية في وسط العاصمة مغلق في وجه السيارات. ربما (هم) محقون ، فالمحافظة على الامن في بغداد ليس بالامر الهين . سرت على قدمي مسافة طويلة ، تركت ملعب الشعب خلفي ولم اصل شارع السعدون الا بشق الانفس ، انتبهت بانني فعلا زدت ثلاثين عاما عن آخر مرة كنت فيها في هذا الشارع ، في تلك الايام كنا نسير انا وخليل الحركاني وعقيل مهدي ودريد ورياض النعماني وصاحب نعمه وكافي لازم، والشهيد ماهر كاظم، وماهر جيجان، وآخرين، من اكاديمية الفنون الجميلة في الوزيرية الى مسرح بغداد دون ان نتعب او نكل . اجل انه العمر . شارع السعدون هو الاخر أخذ العمر منه مأخذا. مقفر الا في وحه الطفولة، وقد حوله الاطفال الى ساحة لكرة القدم.
سينما النصر لم يبق منها الا جزءا مهشما من اسمها ، دلفت يسارا في شارع تشوه كوجه اصيب بالجدري، شممت رائحة الموت . تسمرت أمام مسرح بغداد، وددت ان اصرخ ، ان اشتم ، ولكن، اشتم من ؟ ، الزمن ام من تحكّم بالزمن ؟ نصحوني ان اكون حذرا في الشوارع الخلفية . انا من جيل مسكون بالخوف . بكيت في صمت.
قبلت الباب المتسخ ومسسته بيدي ووضعتها على رأسي، مسحة من تراب ، تذكرت ما فعلته شقيقتي عندما اغتال الارهابيون شقيقي.
****

وهذا نص المقالة

:
نكون أو لا نكون
سوف لا نتحدث بهذه المناسبة، مناسبة يوم المسرح العالمي ، عن (اهمية) المسرح في تاريخ الشعوب باعتباره أمرا مفروغا منه، لكننا نشير الى مسألة اخرى ترتبط ارتباطاً وثيقا بالمسرح ، الا وهي الديمقراطية . . ولو تصفحنا التاريخ المسرحي لوجدنا هذه اللازمة ، الديمقراطية ، مكملة ودافعة للمسرح بخطوات كبيرة الى الامام ولا أعتقد أن هناك غباراً على ديمقراطية الحياة الاغريقية ومسرحها العظيم وكذا يقال عن المسرح الروماني الغابر او المسرح الاشتراكي الحالي ان جاز التعبير.
إذا نحن كفنانين عرب نطالب في هذا اليوم من دول العرب . . من اقصى الشرق الى أقصى الغرب بأن ترفع يدها عن المسرح لا كمساعدات ودعم مالي بل كسلاسل وقيود تقيد معاصم المسرح وفنانيه وأن تكف أجهزتهم البوليسية والثقافية وهذا ما يحدث في اكثر الدول العربية ، أقول أن تكف عن ملاحقة الفنانين ومطاردتهم مما يسبب : اما ان يترك هذا الفنان او ذاك عمله المسرحي او الفني بشكل عام أو ان يترك الفنان وطنه ليعيش مغتربا ولتضمر كفاءته وامكاناته يوما بعد يوم فنحن نعرف قائمة طويلة من الفنانين العرب الذين أضطهدوا

او تركوا بلادهم اضطرارا . . ولا اخص المسرحيين فقط بل عموم الفنانين امثال : عبد اللطيف اللعبي، النحاس، سعدي يوسف .. قاسم حداد .. قاسم حول .. زينب ، عدلي فخري ، ومن منا لا يعرف الشيخ امام واحمد فؤاد نجم . . . وهؤلاء لهم بصماتهم الواضحة على الشعر والادب والمسرح والسينما والغناء في عالمنا وثقافتنا العربية
والقائمة ـ المشرقية ـ تتسع لمئات من الفنانين الذين تشردوا ونحن هنا في الجزائر نؤمن بحقيقة اخرى وهي : ان من جاء للسلطة بالقوة وبالبترول والمؤامرات لا مناص منه من ان يضطهد الشعب بشكل عام والفنانين بشكل خاص ، لذا فنحن نوجه اصواتنا الى الفنانين الذين رضوا ذلة الانظمة عن ان تتحرك لهم نطفة في ضمائرهم الفنية – على اقل تقدير – ولا يتصور أن القيود الذهبية تختلف عن سلاسل الحديد يكفي قنوطا وترديا ومذلة فالتاريخ لا يرحم ويعطي لكل ذي حق حقه والشمس لا يحجبها الغربال وكفاهم تزييفا لا تكونوا وقودا لمعركة خاسرة بل كونوا نبراسا لشعوبكم شعراء او ادباء او مسرحيين شاركوا بتحريك شعوبكم كونوا محركاً لهم لتثقيفهم لتثوير وعيهم ولا أعتقد أن المقولة ـ اعطني خبزا ومسرحا اعطيك شعبا واعيا ـ أصبحت بالية وأنها فقدت معناها بل أصبحت أكثر ضرورة ضمن الهجوم الذي نتعرض له من الداخل والخارج!

نشر هذا الملف على صفحات "طريق الشعب" يوم 4 نيسان